الكتابة اللسانية العربية الحديثة إبراهيم أنيس أنموذجا

نـــــوارة بحـــــري
جامعة عباس لغـــــرور - خنشلة (الجزائر)

الملخّص:

يسعى هذا المقال إلى استظهار أهم الآراء التي نبعت من واحد من أعلام الدرس اللساني ومؤصّلي الدراسات اللغوية المعاصرة في الوطن العربي، ألا وهو الدكتور إبراهيم أنيس المتشبّع بالثقافة اللسانية الغربية، والمطّلع على التراث اللغوي العربي الأصيل، والذي كانت له محاولات جادة تهدف إلى إعادة النظر في دراسة اللغة العربية في ضوء مستجدات البحث اللساني جامعا بين التقديم العام للفكر اللساني الحديث والتعريف به لدى القارئ العربي ومحاولة التطبيق على اللغة العربية قصد إثراء البحث اللساني العربي بعد التلاقح الإيجابي بين ثقافتين مختلفتين.

الكلمات المفتاحية: الكتابة – اللسانيات الحديثة – ابراهيم أنيس – اللسانيات الوصفية

Résumé:

Le présent article vise à répertorier les avis les plus importants de l'une des sommités en linguistique et études linguistiques contemporaines dans le monde arabe, en l'occurrence le Dr. Ibrahim Anis spécialiste de la culture linguistique occidentale et familier avec le patrimoine linguistique inhérent à la langue arabe, dont les tentatives sérieuses visent à reconsidérer l'apprentissage de la langue arabe à la lumière de l'évolution de la recherche linguistique, en combinant la présentation générale de la pensée linguistique contemporaine et sa présentation au lecteur arabe et en essayant son application à la langue arabe dans le but d'enrichir la recherche linguistique arabe suite à la cohésion positive entre les deux cultures.

Mots clés: écriture –linguistiques modernes- Ibrahim Anis- linguistiques descriptives.

Abstract:

This article seeks to show the most important opinions that came from one of the figures of the linguistic studies and brings the modern linguistics studies to the Arab world , he is Dr. Ibrahim Anis imbued with Western linguistic culture and familiar with the original Arabic linguistic heritage, which had serious attempts to reconsider Studying the Arabic language in light of recent linguistic research combining the general introduction of modern linguistic thought and introduce it to the Arab reader and the attempt to apply it to the Arabic

language in order to enrich Arabic linguistic research after the positive cross-fertilization between two different cultures.

Keywords: Writing, modern linguistics, Ibrahim Anis, descriptive linguistics.

- مقدمة:

شكّل القرن التاسع عشر نقطة تحول حاسمة في تكوين الفكر العربي الحديث، مما استوجب ضرورة مواكبة التطور الحاصل في الغرب، هذا الوعي الذي وضع العرب أمام نموذجين حضاريين: الأول عائد إلى الماضي بعده امتدادا للهوية العربية الواجب المحافظة عليها بتكريسها كرؤية صالحة لكل زمان ومكان، والتي يعدّ تجاوزها شكلا من أشكال الانسلاخ، والثّاني التّشدُّقُ بكلِّ ما هو جديد والانبهار به فـــــ: « تراثنا أحد رجلين فإما ناقل لفكر غربي، وإما ناشر لفكر عربي قديم، فلا النقل في الحالة الأولى ولا النشر في الحالة الثانية يصنع مفكرا عربيا معاصرا، لأننا في الحالة الأولى سنفقد عنصر العربي وفي الحالة الثانية عنصر المعاصرة، والمطلوب هو أن نستوحي لنخلق الجديد سواء عبرنا المكان لننقل عن الغرب أو عبرنا الزمان لننشر عن العرب الأقدمين»[1]. وفي خضم هذه الظروف، وفي فوضى هذه التقاطعات تبنّى البحث اللساني العربي الحديث لنفسه هيكلا مستقلا يصف اللغة العربية معتمدا على كل الأصول النظرية مع تطعيمها بنتائج المقولات النظرية الغربية خدمة للغة العربية، وفي هذا المضمار يقول تمام حسان: « وتشعبت المسالك أمام الشعب بعد أن تثاءب وتمطى ونفض عن نفسه غبار الموت، فوجد أمامه طريقا في الماضي يقوده إلى التراث العربي الخصب، ورأى أنه لو بعث هذا التراث وأحياه لكان دافعا لعزة جديدة لا تقل روعة عن التأريخ العربي نفسه، ووجد أمامه طريقا في المستقبل معالمه ما في أيدي الأمم من علوم ومعارف ... ثم رأى أنه لو سلك الطريق الأول فحسب

لانقطع به التاريخ عن الحياة، ولو سلك الثاني فحسب لانقطعت به الحياة عن التاريخ، ففضل أن يأخذ بنصيب من التراث العربي يوحي إليه بالاعتزاز ونصيب من الثقافة المعاصرة يمنحه العزة»[2]. فتمام حسان يرى أن أفضل طريق تسلكه الدراسات اللسانية العربية الحديثة هو الجمع بين الاثنين. ففي هذا المقال سنركز على واحد من أعلام الدرس اللساني العربي الحديث محاولين إماطة اللثام عن فكره اللساني وإضافاته في هذا المجال الرحب.

ويعد الدكتور إبراهيم أنيس الفَذُّ واحدا ممن حملوا لواء الإصلاح اللغوي في العالم العربي، فهو من الأوائل الذين عرّفوا القارئ العربي بأساسيات اللسانيات الغربية، وذلك بعد الاتصال الفعلي والتعرف على المناهج والنظريات اللسانية العربية التي عرفت تطورا كبيراً في أمريكا وأوروبا حيث عمد إلى انتهاج اللسانيات الوصفية وإسقاط إجراءاتها على اللغة العربية، ومن الأسباب الداعية إلى ظهور اللسانيات الوصفية العربية تلك « النتائج الإيجابية التي حققتها اللسانيات الوصفية في الغرب»[3] ومع شروع « بعض أفراد البعثات الطلابية إلى الجامعات الأوروبية في العودة إلى أوطانهم... والذين تتلمذوا خصوصا على يد فيرث» في مدرسة لندن»[4]، وما أن ظهر الإتجاه الوصفي حتى « انبهر العديد من اللغويين العرب بالإنجازات التي حققتها الوصفية في الغرب، فكان ذلك حافزا لتطبيق هذا المنهج على اللغة العربية»[5]. فالدكتور "إبراهيم أنيس" يعد من مؤصلي الدراسات اللغوية المعاصرة في العالم العربي. فهو أبرز من يمثل الدراسات اللغوية الحديثة، بما وضع في ذلك من بحوث قيمة اعتمد فيها على نتائج العلم اللغوي المقارن، والعلم اللغوي التاريخي، وما هيأه التطور من استخدام الآلية في العلم اللغوي، لذا «فإن الرجوع إليه في المسائل الرئيسية يمثل شيئا من فكرة التقويم المعقود لهذا الباب »[6]. فالأستاذ له الكثير من الكتب اللغوية

القيمة منها: "الأصوات اللغوية"*، "في اللهجات العربية"، "موسيقى الشعر"، "من أسرار اللغة"، "دلالة الألفاظ"، "اللغة بين القومية والعالمية". إلى جانب الكتب والمؤلفات نجد له الكثير من المقالات والبحوث المنشورة والتي ركز فيها على دراسة البنية الصوتية، والصرفية، والنحوية، والتركيبية، والدلالية، بمنظار المفاهيم اللسانية الغربية الوصفية منها، والتاريخية، وكانت له مجموعة من الآراء في اللسانيات وأبرزها:

– في النحو العربي:

1 – التقسيم الثلاثي للكلم:

على الرغم من التأليف الغزير في مادة النحو العربي الذي دام قرونا عديدة إلا أن «قصور النحو العربي القديم عن الاضطلاع بوظيفته الرئيسية التي نشـأ من أجلها، وهي صون اللسان من اللحن في القرآن، وتعليم قواعد اللغة العربية لأصحابها ولغيرهم من المسلمين الناطقين أصلا بلغات أخرى»[7] أدى إلى البحث عن الجديد وقبول أسسه ومبادئه «لأن فائدة كتب اللغة العربية التقليدية محدودة... ولأنه مضى على وضعها زمن طويل أحلّ فيها السّقم والعقم، فتقدم العلوم عامة والعلوم الألسنية خاصة أتاح للباحثين فرصة اتباع طرق علمية جديدة لوضع الكتب والمؤلفات القَيِّمَة».[8]

فإبراهيم أنيس أعاد النظر في التقسيم الثلاثي للكلم عند نحاة العربية في ضوء معرفته بالنحو الأوروبي، فالتقسيم الثلاثي (اسم وفعل وحرف) يرى أنها تبعية لفلاسفة وعلماء المنطق اليونانيين، الذين جعلوا أجزاء الكلام ثلاثة هي (اسم وكلمة وأداة)، وأشار إلى أن علماء اللغة العرب عندما حاولوا تحديد المقصود لهذه الأجزاء شق عليهم الأمر، ووجدوا تعريف الاسم لا ينطبق عليه تعريفهم للأفعال، أما الاسم فقد ذكر "أنيس" أنهم حاولوا تحديده

على أساس معناه، فقالوا عنه: «هو ما دلَّ على معنى وليس الزمن جزءا منه، فلما اعترض عليهم بأسماء مثل "اليوم" و"الليلة" وبالمصدر الذي رغم اعترافهم بإسميته لا يشك أحد في أنه يشير إلى الزمن، أخذوا يجوزون تعريفهم ويفسرونه تفسيرا خاصا ينسجم مع فهمهم للاسم على أن منهم من لم يكلف نفسه تعريف الاسم، مكتفيا بالتمثيل له مثل سيبويه الذي قال: «والاسم رجل وفرس» ومع ما في ذلك من نقص أدركه بعض النحاة القدماء»[9].

وعلى غرار الوصفيين حاول أنيس من خلال أعماله في المجال النحوي ربط الصلة بين القديم والجديد « وسيرا على نهج الوصفيين الغربيين في نقدهم للنحو التقليدي، وجد الوصفيون العرب في ما صح من نقد الأوربيين لتراثهم النحوي ينسحب أيضا على التراث النحوي العربي»[10]. فالوصفيون « انتقدوا النحاة القدامى أشد ما يكون الانتقاد وعابوا عليهم إفسادهم للنحو بإدخال أدوات ومفاهيم منطقية فيه، وانتصارهم للقياس، واصطناع أمثلة وتراكيب كثيرة لم تكن موجودة في اللغة، ولم تسمع عن العرب ».[11]

فإبراهيم أنيس يرى أن تعريفات الاسم والفعل والحرف عند القدامى ناقصة قاصرة، لذلك اقترح أسسا جديدة كبديل بنى عليها تقسيمه للكلم، وهو تقسيم يحاول من خلاله تدارك النقص الذي شاب أعمال النحاة[12]، فقد ذكر أنه يجب أن تأخذ ثلاثة أسس في تحديد أجزاء الكلام وتعريفها هي: المعنى، الصيغة، ووظيفة اللفظ في الكلام، ويطرح وفق هذه الأسس تقسيما رباعيا أضاف فيه الضمير حيث قال موضحا أقسام الكلم حسبه: « ولا يصحّ الاكتفاء بأساس واحد من هذه الأسس؛ وذلك لأن مراعاة المعنى وحده قد يجعلنا نعدّ بعض الأوصاف مثل: قائل وسامع ومذيع أسماء وأفعالا في وقت واحد، ومراعاة الصيغة وحدها ، قد يلبس الأمر علينا حين نفرق بين

الأفعال، وبين تلك الأسماء والصفات التي وردت في اللغة على وزن " أحمد ويثرب ويزيد وأخضر"، بل حتى وظيفة الكلمة في الاستعمال لا تكفي وحدها للتفرقة بين الاسم والفعل... فإذا روعيت تلك الأسس الثلاثة معا، أمكن إلى حد كبير التمييز بين أجزاء الكلام »[13]، وجاء تقسيمه كما يأتي:

- **أولا** : الاسم وينضوي تحته ثلاثة أنواع تشترك إلى حد كبير في المعنى والصيغة والوظيفة وهي: الاسم العام ، العلم ، والصفة .

- **ثانيا**: الضمير ويضم ألفاظا معينة في كل لغة تستعيض بها اللغات عن تكرار الأسماء الظاهرة ويقسمها إلى أربعة أقسام: الضمائر– ألفاظ الإشارة – العدد – الأداة.

- **ثالثا**: الفعل وركز فيه "أنيس" على وظيفة الإسناد التي يؤديها في الجملة، مؤكدا على أن ربط الزمن بصيغة الفعل لا يبرره الاستعمال اللغوي.[14]

- **رابعا**: الأداة يتضمن ما تبقى من ألفاظ اللغة، ومنها ما يسمى عند النحاة بالحروف، سواء كانت للجر كما يقولون، أو للنفي أو للاستفهام أو للتعجب، ومنها ما يسمى بالظروف زمانية كانت أو مكانية[15]، ويبقى التقسيم الرباعي الذي وضعه إبراهيم أنيس في مقابل التقسيم الثلاثي، الذي وضعه القدماء قاصرا باعترافه حيث يقر بصعوبة التفريق بين أقسام الكلام ولعل ذلك راجع إلى طبيعة المنهج المتبع أين اكتفى بالوصف الغالب الأعم.

2- القياس :

عرف ابن منظور القياس فقال: « قاس الشيء يقيسه قَيْساً وقياسيا، واقتاسه وقيسه إذا قدره على مثاله، والمقياس: المقدار»[16] فمصطلح القياس في عمومه واحد من الأذرع التي يعول عليها في تنمية اللغة، وذلك بمقارنة كلمات بكلمات أو صيغ بصيغ، أو استعمال باستعمال، رغبة في التوسيع

اللغوي، وحرصاً على اطراد الظواهر اللغوية، حيث يرى" أنيس" أن القياس من أساسيات تقعيد القواعد وتنظيم مسائل النحو، كما يشير إلى أن آراء النحاة واللغويين في كل الأزمنة تكاد تجمع على الأخذ بالمطرد قياسا وسماعا، ورفض الشاذ في القياس والسماع[17]، ثم يشير إلى القياس الذي كثيرا ما يتحدثون عنه من مثل قولهم: أعرب المضارع قياسا على اسم الفاعل، أو قولهم نصبت لا النافية للجنس الاسمَ ورفعت الخبر قياسا على إنَّ لمشابهتها إياها في التوكيد وغيرها من القضايا، حيث يسمي "أنيس" هذا النوع من القياس باسم (القياس المصنوع)، ويعتبره صناعة نحوية لا تمتّ للقياس اللغوي الحقيقي بصلة ما، أما القياس الطبيعي الذي نعهده في كل اللغات، والذي تنمو به مادة اللغة، وذلك كأن نعمم المعنى بعد أن كان خاصا[18]. ويقول أنيس: « لست أعرف مصطلحا من مصطلحات الدراسة اللغوية العربية قد أسيئ فهمه وأسيئ استعماله بقدر ما أسيئ فهم واستعمال مصطلح " القياس اللغوي"، فالقياس في شكله الحالي الداعي إلى استنباط كلمات جديدة من صيغ قديمة، لا يسهم بقسط وافر في هذا المجال لأنه لا يتعدى مجال الحروف إلى التراكيب والدلالات»[19]، كما يرى أن هذا الذي نسميه بالقياس الخاطئ وقع بين العرب القدماء كما يقع بيننا الآن، ولا فرق بين قياسنا وقياسهم سوى أن عملهم قد تقدم به الزمن فاعتبره العلماء صحيحا مقبولا ودونوه في معاجمهم ، في حين أن قياسنا الخاطئ الآن يأباه اللغويون ويعدونه من الأخطاء التي يجب أن نتحاشاها ونتجنبها[20]، وفي هذه الفكرة قال محمد الخضر حسين: «القياس وسيلة تمكنّ الإنسان من النطق بآلاف من الكلم والجمل دون أن تقرع سمعه، أو يحتاج إلى الوثوق من صحة عربيتها إلى مطالعة كتب اللغة أو الدواوين الجامعة لمنثور العرب أو منظومها ».[21]

فالقياس يضمن للغة العربية نموها وحيويتها، واحتوائها للمستجدات، ومواكبتها للتطورات الحاصلة، فهو لون من ألوان الابداعية اللغوية، ولقد وافق أنيس المحدثين وذهب إلى ما ذهب إليه المجددون من الباحثين الذين ينادون بإباحة القياس اللغوي للموثوق بهم من أدبائنا وشعرائنا، لا إلى جعل القياس في اللغة بأيدي الأطفال وعامة الناس، وكما هو الحال في كل لغة يترك أمرها لسنة التطور.[22]

كما ركز على ضرورة تصحيح الانحراف الذي لحق بدراسة القياس، وربطه بنظام العربية الشامل الذي ينأى عن الخلط الشديد الذي نجده في كتب النحو وأصوله.

3- الإعراب :

تعد مسألة الإعراب من المسائل القديمة الجديدة التي انشغل بها العلماء قدماء ومحدثون ، حيث اعتبرها ابراهيم أنيس من القصص المخترعة فيقول: « ما أروعها قصة! لقد استمدت خيوطها من ظواهر لغوية متناثرة بين قبائل الجزيرة العربية، ثم حيكت وتمّ نسجها حياكة في أواخر القرن الأول الهجري أو أوائل القرن الثاني على يد قوم من صنّاع الكلام »[23]. فأنيس اعتبر أن النحويين اخترعوا بعض قواعد الإعراب، وبعد بحث عميق في تاريخ الحركات الإعرابية ووظيفتها داخل الأبنية اللغوية أقر أنه «لا مناص لنا من أن نعدّ ظاهرة الإعراب من الظواهر التي لا يمكن أن تمتّ للسليقة اللغوية بصلة، وذلك لأن صاحب اللغة التي يتكلمها بالسليقة يستحيل عليه الخطأ في ظواهر تلك اللغة دون أن يدرك أنه خطأ »[24].

فظاهرة الإعراب حسبه ليست سليقة، ولو كانت كذلك لما وقع العرب في أخطاء نحوية ودلالية كثيرة، لذلك يعتبر أن الإعراب لصيق فقط باللغة

الأدبية فحسب، وبعد بحثه العميق عن آثار الإعراب في اللغات السامية الأخرى وركز اهتمامه خاصة على اللغة العبرية، ونظر أيضا في فصيلة اللغات الهندية الأوروبية، واستعرض إعراب اللغة اللاتينية باختصار وتوصل إلى بعض النتائج موضحا إياها بقوله: « ولعلّ أهم فرق بين رموز الأسماء في اللاتينية، وبين حركاتنا الإعرابية، أن الرموز اللاتينية لا تسقط مطلقا من نهاية الأسماء حين الوقف عليها، كما يحدث غالبا للحركات الإعرابية في لغتنا مما يجعلنا نرجح أن حركاتنا الإعرابية ليست رموزا لغوية، تشير إلى الفاعلية أو المفعولية أو غير ذلك»[25].

- آراء إبراهيم أنيس في المجال الصوتي:

كانت البدايات الأولى لظهور اللسانيات العربية مع عودة البعثات الطلابية العربية –المصرية منها تحديدا – من الغرب، و« إذا افترضنا أن لحظة نشأة اللسانيات العربية هي تأريخ صدور أول كتاب تبنى المناهج اللسانية الغربية...، ما بين 1941 و1946 وهي المدة التي يرجح فيها صدور كتاب الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس، الذي يعدّ أول كتاب عربي يحاول تطبيق النظرية البنيوية في وصف أصوات اللغة العربية »[26] .

ويعد كتابه هذا « أول محاولة عربية لوصف أصوات العربية وصفا جديدا، أفاد فيها من جهود القدماء، والمحدثين كليهما»[27]، وهذا ما يؤكده في مقدمة كتابه الأصوات اللغوية بقوله: « فهذا كتاب في دراسة قد تبدو حديثة في بلادنا ولكنها ازدهرت وتأصلت بين من يُعنَونَ بالبحث اللغوي في أوروبا»[28].

فهذا الكتاب الصوتي الرائد (الأصوات اللغوية) أراد فيه صاحبه الجمع بين آراء القدماء والمحدثين في مجال الدراسة الصوتية، وحاول « أن

يؤسس للدرس اللساني العربي الحديث من خلال الوقوف على آراء علماء اللغة العربية في هذا المجال وتأكيد أسبقيتهم فيه»[29]، ومن بين مواقفه إزاء الدرس العربي القديم في المجال الصوتي:

1 – عدم الدّقة في وضع المصطلحات، حيث يقرّ أن «المصطلحات التي أطلقها القدماء على بعض مخارج الأصوات وصفاتها جانبها التوفيق، وتنقصها الدقة»[30]. فتقسيم سيبويه لمصطلحات مخارج الأصوات « قائم على أساس الفصل بين المخرج والصفة، على حين مضى اللغويون المحدثون إلى عدم الفصل بينهما باعتبار الصوت وحدة متكاملة»[31].

2 – عدم إدراكهم لوظيفة الأوتار الصوتية في التفريق بين الصوت المجهور والصوت المهموس[32].

3 – دور الرئتين في عملية النطق مُغيَّب عندهم؛ حيث يقول: « فبغير الرئتين لا تكون عملية التنفس، وبغير التنفس لا يكون الكلام بل لا تكون الحياة نفسها، فبعض الأعضاء التي سبقت الإشارة إليها قد يصيبه اضطراب أو خلل، ومع هذا فتظل عملية النطق تؤدي دورها في صورة من الصور ولكن الرئتين لا يمكن الاستغناء عنهما في النطق»[33] .

4 – يرى أن تصنيفات القدماء للأصوات (الصامتة والصائتة) قائمة على أساس وجود اعتراض لتيار الهواء في مجراه أو عدم وجوده، غير أنهم اهتموا بالصوامت على حساب الصوائت(القليلة العدد مقارنة بعدد الصوامت وخاصة الصوائت القصيرة).

5 – صنف ابراهيم أنيس صوتي القاف والطاء ضمن زمرة الأصوات المهموسة، في حين صنفها القدماء ضمن زمرة الأصوات المجهورة، وأرجع ذلك إلى التطور (التغيير) الذي أصابهما، «فاختلف نطق

بعض الأصوات في زماننا على مستوى النطق الفصيح عنه في زمان أولئك القدماء الذين وصفوا ما سمعوه، وأصابوا في هذا الوصف »[34].

6 – عدّ القدماء صوت الهمزة من الأصوات المجهورة، أما أنيس لم يصنفها لا في زمرة الأصوات المهموسة ولا الأصوات المجهورة، وعاب عليه عبد الرحمن أيوب هذا قائلا:« ومن ثم فإن وصف أنيس للهمزة، بأنها ليست مجهورة ولا مهموسة وصف غير دقيق»[35].

7 – أقّر بأن وصف القدماء لصوت الواو يشوبه النّقص، فهو « ليس من الشفتين فقط كما ظن القدماء، بل هو في الحقيقة من أقصى اللسان حين يقترب من أقصى الحنك»[36].

8 – كان صنيع علماء العربية القدماء يتفق في قضايا كثيرة مع نتائج البحث الصوتي الحديث مع اختلاف في بعض المصطلحات، فوصف أنيس للأصوات المجهورة والمهموسة، والشديدة والرخوة، وكذا الأصوات البينية(المتوسطة) لا يخرج في الغالب عما قال به الأولون رغم افتقارهم للوسائل والتقنيات التي تسهل عليهم الوصول إلى ما توصلوا إليه من نتائج مبهرة، وعليه كانت المباحث الصوتية في اللسانيات العربية الحديثة تستند إلى« متن نظري ذي أصلين : البحث الصوتي العربي القديم، والفونتيك الحديثة، فقد كان وصف اللسانيين العرب لأصوات العربية يمزج المفاهيم المطروحة في التراث، من قبيل الجهر والهمس ، والحركة والسكون، والشدة والرخاوة، والتفخيم والترقيق، بما يماثلها في البحث الفونتيكي الحديث»[37]. وعلى هذا المنهج سار ابراهيم أنيس حيث لم يفصل في دراسته للأصوات اللغوية بين الفونتيك والفونولوجيا حيث يرى « أن الفرعين قد يلتقيان في ميدان واحد، ويشتركان معا في عدة نقاط، فحدودهما متشابكة، يصعب تحديد الفواصل بينهما تحديدا دقيقا»[38]. ويقول في هذا الشأن حلمي خليل: « ويبدو

أن اتجاه د. أنيس في عدم الفصل بين الفونتيك والفونولوجيا لأنه كان يسعى لدراسة أصوات اللغة العربية في المقام الأول، وهي دراسة تتصل بالفونولوجيا أكثر منها بعلم الأصوات العام»[39].

9 - يعد إبراهيم أنيس من الأوائل الذين كتبوا قواعد النبر متتبعا مواضع النبر في قراءة القرآن في اللهجات المعاصرة[40]. حيث عرفه بمعنى "الضغط" على مقطع من مقاطع الكلمة وهذا وجه الاختلاف بينه وبين قدامى اللغويين العرب « ولعلّ ذلك راجع إلى كون النبر لا يقوم بوظيفة دلالية في العربية الفصحى سواء أكان ذلك عن طريق الضغط أم المطل أم الإشباع، وهذا يعدّ في نظر ابراهيم أنيس ميزة في اللغة العربية»[41]. كما تحدث عن التنغيم، فإبراهيم أنيس أول من أشار لهذا الموضوع من المحدثين، مستخدما مصطلحا آخر له هو موسيقى الكلام "Intonation" [42]، غير أن حديثه عنه جاء مقتضبا، وهنا يتضح الجانب الحداثي، كما نجده تحدث عن ظاهرتي المماثلة والمخالفة [43]؛ حيث يرى أن الأصوات اللغوية تتأثر ببعضها البعض في المتصل من الكلام، وأن نسبة التأثر تختلف من صوت إلى آخر، والهدف من هاتين الظاهرتين الصوتيتين المتعاكستين في العمل تحقيق الانسجام الصوتي داخل البنى اللغوية، ليؤكد بعد عرضه لمجموعة من الأمثلة « أن الأصوات في تطورها تهدف إلى الإقتصاد في الجهد العضلي، فالمماثلة تقربّ بين الأصوات المتجاورة في الصفة والمخرج، وقد يصل هذا التقريب بين الصوتين المتجاورين إلى أن يصبحا متماثلين تمام التماثل، وهنا قد تبدأ عملية المخالفة التي تهدف أيضا إلى التقليل من الجهد العضلي»[44]. فالمواضيع الصوتية المطروقة في كتاب "الأصوات اللغوية" كثيرة حدّد أنيس الغاية المتوخاة منها في نقطتين أساسيتين: « أولهما رفع اللبس عن كثير من المفاهيم والآراء التي أتى بها المتقدمون من علماء اللغة، والتي تكررت عند

المتأخرين دون فهم أو نظر فيها، وثانيهما ترتبط بمشروع تبناه اللسانيون العرب جميعهم، وهو نشر ثقافة لسانية في أوساط المشتغلين بالدراسات اللغوية»[45]. وفي مؤلفه الجاد (الأصوات اللغوية) كان إبراهيم أنيس يوازن آراء اللغويين العرب القدماء بآراء المحدثين، ويوضح السبب في أنه يهدف للوقوف على مدى ما تتفق فيه آراء علماء اللغة العربية القدماء مع النظرية الحديثة في هذا الميدان[46]، مبادرا إلى توضيح موقفه من جهودهم قائلا: «... فدراستنا هنا هي دراسة المحايد المنصف المعترف بعلم هؤلاء القدماء وفضلهم وليس القصور أو التقصير فيما رواه سيبويه»[47]، مقرا بأن «المتأخرين لم يحاولوا فهم ما وصل إليهم في مجال الدراسات الصوتية، بل اكتفوا بتكرار آراء القدماء دون الوقوف عليها وتأمل مواطن القوة والضعف فيها»[48]، وهذا ما أدى إلى ركود البحث في المجال الصوتي وتعثره.

وعليه يمكن القول أن كتابات إبراهيم أنيس في الدراسات اللسانية النحوية والصوتية...« شكلت رافدا أساسيا في الحركة اللغوية العربية الحديثة مُساهِمة بنصيب وافر في التعريف باللسانيات الوصفية»[49]. غير أن ما يعاب على الكتابة الوصفية العربية وهو ادعاء المنهجية والعلمية وربطها بالوصفية وحدها ، ونفي ذلك عن سائر المناهج. وترى الوصفية أن المنهج العلمي « يُعنى أولا وآخرا بالإجابة عن "كيف " تتم هذه الظاهرة أو تلك، فإذا تعدَّى هذا النوع من الإجابة إلى محاولة الإجابة عن "لماذا " تتم هذه الظاهرة أو تلك، لم يعد منهجا علميا ... إن النظرية العلمية يجب أن ترقى إلى مستوى تفسيري، ولا تكتفي بالملاحظة الخارجية في جميع الأحوال ، بل تبحث في الكيف وفيما وراء الكيف»[50].

- خاتمة:

حاول إبراهيم أنيس من خلال مؤلفاته بعث الحياة اللغوية ودفع الدراسات اللغوية العربية قدما وتحريرها من قيود التبعية والتقليد والجمود، أين تبنى المنهج الوصفي في إعادة وصف اللغة العربية من خلال النظرية اللسانية الغربية الحديثة، فاللغة العربية حسبه لا يمكن فهمها بدقة إلا من خلال اللسانيات الحديثة حتى تواكب المستجدات الثقافية والحضارية.

- أعاد النظر في التقسيم الثلاثي للكلم في العربية ونفى أصالة النحو العربي مؤكدا تبعيّته للتقسيم الأرسطي. كما اقترح أسسا وبدائل جديدة بنى عليها تقسيمه للكلم.

- يعتبر أن القياس اللغوي صناعة نحوية، ونادى بإباحة القياس اللغوي للموثوق بهم من الشعراء والأدباء.

- الإعراب في اللغة العربية لصيق فقط باللغة الأدبية حسبه.

- أضاف الشيء الكثير في الدراسات الصوتية (أعاد تصنيف الأصوات اللغوية، وضع مصطلحات ومفاهيم جديدة في مقابل المصطلحات التراثية...)، كما تحدث بإسهاب عن النبر والتنغيم.

<u>الاحالات والهوامش:</u>

1) زكي نجيب محفوظ: تجديد الفكر العربي، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1973، ص 254.

2) تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، د. ط، 1986، تقديم المؤلف.

3) مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، المغرب، 1998 م، ص 175.

4) حافظ اسماعيل علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص 44.

5) المرجع نفسه، 260.

6) محمد حسين آل ياسين: الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص 394.

7) محمد الأوراغي: نظرية اللسانيات النسبية دواعي النشأة، العربية للعلوم ناشرون، ط1 2010، ص 63.

8) ريمون طحان: الألسنية العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1972، ص ص 11 ، 12.

9) إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1993، ص 279.

10) حافظ إسماعيلي علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، ص 206.

11) عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985، ص 52.

12) حافظ اسماعيل علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، ص 230.

13) المرجع نفسه، ص 231.

14) إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، ص 293.

15) المرجع نفسه، ص 294.

16) ابن منظور: لسان العرب، ج8، مادة (قيس).

17) ابراهيم أنيس: من أسرار اللغة، ص 14.

18) المرجع نفسه، ص ص 15. 16.

19) المرجع نفسه، ص ص17 . 18.

20) المرجع نفسه، ص 44.

21) محمد الخضر حسين: القياس في اللغة العربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط ، 1986، ص 28.

22) انظر ابراهيم أنيس: من أسرار اللغة، ص 44

23) المرجع نفسه، ص 198.

24) المرجع نفسه، ص ص 202، 203 .

25) المرجع نفسه: من أسرار اللغة، ص ص 206، 207.

26) فاطمة الهاشمي بكوش: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، دراسة في النشاط اللساني العربي، ص 18.

27) المرجع السابق، ص 32.

28) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط4، 1971، ص03.

29) فاطمة الهاشمي بكوش: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث ، دراسة في النشاط اللساني العربي، ص 32.

30) هنري فليش: العربية الفصحى دراسة في البناء اللغوي ، ترجمة عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، مصر، ط2، 1997، ص 20.

31) انظر: ابراهيم انيس: الأصوات اللغوية، ط4 ، ص ص 88 ، 94 .

32) ابراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص 19.

33) انظر: المرجع نفسه: الأصوات اللغوية، ص ص 38 ، 39.

34) رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2 ، 1985م، ص 62.

35) عبد الرحمن أيوب: أصوات اللغة، القاهرة، 1968، ص 183، الهامش 02.
36) ابراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص 43 .
37) فاطمة الهاشمي بكوش: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، دراسة في النشاط اللساني العربي، ص 105.
38) ابراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص 04 .
39) حلمي خليل: العربية وعلم اللغة البنيوي، بدون دار النشر 2001 م، ص 149.
40) انظر ابراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص ص 99. 100.
41) محمد بوعمامة: الصوت والدلالة دراسة في ضوء التراث وعلم اللغة الحديث، التراث العربي، دمشق، سوريا، 2002، العدد 85، ص 21 .
42) ابراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص 103 .
43) المرجع نفسه: الأصوات اللغوية، ص ص178، 210 .
44) المرجع نفسه: الأصوات اللغوية، ص 214 .
45) المرجع نفسه، ص 03.
46) انظر المرجع نفسه، ص 03.
47) المرجع نفسه، ص 105.
48) المرجع نفسه، ص 105.
49) مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص 281.
50) عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية، ص58.

* كتاب الأصوات اللغوية: يعد أول كتاب عربي حاول تطبيق النظرية البنيوية في وصف أصوات اللغة العربية، انظر: فاطمة الهاشمي بكوش: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، دراسة في النشاط اللساني العربي إبتراك للنشر، مصر، ط1، 2004، ص18.